يوميات الحزن العادي لمحمود درويش قراءة في نماذج مختارة

م . د . علاء عبد الكاظم عبد العالي
كلية الفنون الجميلة / جامعة القادسية

تسليم البحث: ٢٠١٩/٥/١٤ قبول النشر : ٢٠١٩/٦/٩

الملخص

تناولت هذه الدراسة كتاب محمود درويش "يوميات الحزن العادي" الذي يشتمل على مجموعة من المقالات التي تتراوح من المقالات الاجتماعية الى السيرة الذاتية يسجل فيها الكاتب تجربته الذاتية من معاناة وحزن في ظل الاحتلال الاسرائيلي. ويزاوج درويش في اسلوب المقالات بين النثر والشعر ويخلق تناغما فريدا بين لغة النثر المتسمة بالمباشرة والوضوح ولغة الشعر المتسمة بالمجاز والصورة الشعرية. وتقوم هذه الدراسة بتحليل أربع نماذج مختارة من المقالات التسعة التي يشتمل عليها الكتاب للوقوف على خصائصها الفنية والاسلوبية.

المقدمة :

شتمل كتاب : (يوميات الحزن العادي) على مجموعة من المقالات التي كتبها محمود درويش للتعبير عن تجربته الذاتية ومعاناته الشخصية التي عاشها في ظل الاحتلال الإسرائيلي زمناً من الطفولة والكبر ، من خلال التركيز على تصوير قضية أساسية ومركزية حفلت بها جميع هذه المقالات إلا وهي قضية الصراع (العربي – الإسرائيلي) فهذه المقالات تشترك من حيث المضمون ويغلفها إطار عام يعبر عن تجربة الكاتب بما فيها من ذاتية وبوح شديدين يفضيان إلى قضية مقصودة هي القضية الفلسطينية .

ومن حيث الشكل يستعين الكاتب وبجرأة كبيرة بالشعر والنثر على حدٍ سواء وان كان البناء العام للتشكيل بناءً نثرياً مقالياً ؛ فهناك مسافة للّعب بين الشعر والنثر هي أشبه بالقفز في المجهول، عالمان مختلفان متقاربان ويتشبث أحدهما بالآخر ويتآزر خوفاً من أن يموت وحده أو يحيا وحده ، عالمان يقيمان على حد النصل كيانين منفصلين معبرين وما بينهما طبيعة ملبدة بالمناطق الداكنة ، فالنثر يستقرئ الواقع في رتابته المبتذلة والشعر يسعى إلى خلط الأوراق وإعادة انتاجها ليحدث تحولاً في شكل الواقع ومضمونه ، فيستدرجنا الكاتب في مقالاته إلى فضاءاته الذاتية الملأى بالبوح والتساؤلات والدهشة ، وهي نصوص نثرية بامتياز غير أنها تتطلع في طبيعتها

المراوغة إلى ما يجعلها متفلتة من قوانين النثر الثقيلة، سبيلها إلى ذلك على الأرجح انفتاح من دون شروط مسبقة على الايحاءات الداخلية للرؤية النثرية وانفتاح خارجي على دلالات هذه الرؤية وتشكلها في ذهن القارئ ووجدانه ، نصوص لا تشذ في تكوينها عن بنية النثر وهويته لكنها تميل بشكل أو بآخر إلى التمرد على أشكاله التقليدية والانقلاب – كلما أمكن – على ذلك السياق المتوازن بين الوقائع في حقائقها الجامدة الرتيبة والتعبير عنها فنياً بالكلمات . وهو ما سنحاول عرضه في مضان هذا البحث. ولعل أبرز المحاور التي ركزَّ عليها البحث هي :

١- التعريف بالكاتب وحياته .

٢- التعريف بالكتاب المقالي ومناقشة عنوانه .

٣- قراءة وتحليل في أربعة نماذج مقالية مختارة بشكل قصدي .

٤- خاتمة بأبرز النتائج . وقائمة بالهوامش والمصادر والمراجع .

محمود درويش (١٩٤١ – ٢٠٠٨) م

هو محمود سليم درويش ولد سنة ١٩٤١ في قرية (البروة) القريبة من مدينة عكا الساحلية وقضى طفولته الأولى فيها بين أقرانه متمتعاً بطبيعتها الجميلة الساحرة التي تبعث الأمن والاطمئنان في النفس بما يتميز به جو القرية من الهدوء والاستقرار والبعد عن صخب المدينة وتعقيداتها[١] .

غير أن هذه الطفولة لم يكتب لها من العمر طويلاً حتى نكبت بالاحتلال والاغتصاب سنة ١٩٤٨ مما اضطره الى الرحيل إلى لبنان مع بعض أهله وذويه ولم يلبث هناك إلا قليلاً حتى عاد سراً إلى مسقط رأسه ليفجع بما رآه من أطلالها ورسومها بعد أن دمرها العدو الغاصب ، مما كان له أكبر الأثر في نفسه وجعل هذا الحدث راسخاً في ذاكرته حياً في ضميره حاضراً في خياله مع الكبر وفي الشتات على حد سواء[٢] .

رحل درويش إلى مدينة حيفا سنة ١٩٦٠ حيث انضم هناك إلى الحزب الشيوعي الإسرائيلي (راكاح) المؤسسة الوحيدة التي تعترف بحقوق السكان الأصليين في المواطنة ، والتي تتيح له العمل بالصحافة والكتابة والشعر ، فيكتب بالعربية في جريدة (الاتحاد) ويرأس مجلة (الجديد) لكنه يعاني هو ورفاقه وطأة السجن والاعتقال والإقامة الجبرية .

أتيح له السفر إلى القاهرة وقد التقى بكبار الكتاب المصريين بل أنضم إليهم في نادي (كتاب القاهرة) وهو لا يزال في الثلاثين من عمره، رافق توفيق الحكم ونجيب محفوظ ويوسف إدريس ، وبعض الشعراء والكتاب الذين تأثر بهم مما انعكس على تجربته وثقافته الأدبية ، وبسبب الأحداث غير المستقرة غادرَ القاهرة متوجهاً إلى بيروت وقد ارتبط بمنظمة التحرير الفلسطينية وأصبح

رئيس تحرير مجلة (شؤون فلسطينية) ثم عمل على تأسيس مجلة ثقافية رفيعة هي (الكرمل) والتي صدرت أولاً في بيروت ثم في قبرص[٣] .

برع درويش في الشعر وأجاد فيه وصدرَ له العديد من الدواوين الشعرية كان آخرها (أثر الفراشة) ٢٠٠٨م إلى جانب ذلك زاول النثر وأبدع فيه وكتب المقالة والسيرة والرسائل التي تضمنتها كتبه من مثل (شيء عن الوطن) و(وداعاً أيتها الحرب .. وداعاً أيها السلام) و(في وصف حالتنا) و(عابرون في كلام عابر) و(يوميات الحزن العادي) و(حيرة العائد) و(ذاكرة للنسيان) فضلاً عما تضمنته بعض متون المجلات الثقافية والأدبية من مقالات فنية وأدبية شكلت بمجملها تراثاً نثرياً إنماز بجمال العبارة والشعرية والبناء المحكم .

اضاءة في كتاب اليوميات وعنوانه:

يشتمل كتاب (يوميات الحزن العادي)* على مجموعة من المقالات التي تنتمي إلى المقالات الاجتماعية والمقالات الذاتية ومقالات السيرة التي جسد فيها درويش جزءاً من تجربته النثرية وهمومه في ظل الاحتلال الإسرائيلي .

وهناك من يرى أن محمود درويش كتبه وهو في بيروت ، أي بعد العام (١٩٧١) وأن فكرة الكتاب بدأت تتكون في ذهنه سنة (١٩٧٣) ، فأخذ يكتب أجزاءً منه وينشرها في مجلة (شؤون فلسطينية) ويرى أيضاً أنه قد يكون لليوميات أصول أولى ، كتبها درويش وهو في فلسطين ، ودوّن فيها ما يعيشه من أحداث يومية ، ولكنه في الوقت نفسه يرى أن ذلك لا يسوغ عدّها مما كتبه وهو في فلسطين لأنها لم تنتشر إلاّ عام (١٩٧٣) وهو في بيروت ، وهي لذلك تُعبر عن آرائه بعد الخروج من فلسطين[٤] . لاسيما وأنه قد اتهم من قبل البعض بالتخلي عن قضيته بخروجه من فلسطين ، وبعد أن اتهمه آخرون بحمل العلم الإسرائيلي في صوفيا[٥] .

وهنا يمكن التمييز بين ما كتبه درويش وهو في فلسطين أي قبل العام ١٩٧١ وبين ما كتبه وهو خارجها ، لأن ما كتبه وهو داخل فلسطين كان خاضعاً لرقابة الاسرائيليين ، فكان لا يخلو من الاحتراس ، على العكس مما كتبه خارجها فكان أكثر جرأةً وصرامة ، مما يعزز من فرضية أن درويش كتب (اليوميات) خارج فلسطين على اعتبار أن نغمة العداء للاسرائيليين كانت واضحة في مقالاته ، وكان ذلك بأسلوب فني شائق يعتمد التصريح والتلميح والرمز والاستعارة واللغة الشعرية والنثرية لنقل كل ما هو يومي أو وثائقي .

وقد اشتمل الكتاب على المقالات الآتية :

١- القمر لم يسقط في البئر .

٢- الوطن بين الذاكرة والحقيبة .

٣- يوميات الحزن العادي .

٤- من يقتل خمسين عربياً يخسر قرشاً .

٥- الفرح ... عندما يخون .

٦- تقاسيم على سورة القدس .

٧- صمت من أجل غزة .

٨- ذاهب إلى العالم غريب عن العالم .

٩- ذاهب إلى الجملة العربية في الخامس عشر من أيار .

أما عنوان الكتاب فله قيمة دلالية خاصة فاليوميات تدل على أن هنالك ثمة شيء رتيب مألوف ومتكرر كل يوم وهذا الشيء هو الحزن الذي وصفه الكتاب بالعادي ، يفضي إلى إن حياته داخل فلسطين قد ألفِت الحزن واعتادت عليه ، فغدى أمراً طبيعياً ومفروضاً ، يتخلل تفاصيل تلك الحياة بكل جزئياتها حتى استحال ما هو غير طبيعي وغير مألوف إلى شيء طبيعي ومألوف وعادي نتيجة عيشه وتكراره يومياً ، وهو ما يفضي بالنتيجة إلى تكريس حالة الضياع والاغتراب والعبث واللاجدوى .

فاليومي بالنسبة إليه محبطٌ وممزق ومتناحر إلى درجة يصعب التعايش معه إنه يقوم بتجميع صورة ذهنية لوطن مستلب ، عناصرها شذرات من مرايا مهشمة ومبعثرة في ماضٍ ناءٍ غائر في الذاكرة لكنه يتوهج بحياة لا تنطفيء ، لأنها الحياة الوحيدة القادرة على بعث الحياة في حاضر ميت ، أو يكاد يموت ، على حين تبدو نُذر المستقبل قاتمة ومجهولة[٦] .

وهكذا قد يكون للعنوان دلالة أخرى تستهوي القارئ وتدفعه للتعاطف مع موضوع الكاتب ليسوغ له ذلك الخروج القسري من الأرض والوطن ، الذي بثه من خلال مجموعة مقالات تختلف في العنوان ولكن يجمعها الجو النفسي المتمثل بالحزن واليومية .

١- القمر لم يسقط في البئر :

تفصح هذه المقالة عن جانب من جوانب حياة الكاتب ممثلاً بمرحلة الطفولة وما رافقها من أحداث وشجون ومعاناة. إبتداءً يخبئ العنوان الكثير من الظلال والايحاء والدلالات الرمزية التي تحيل على الكاتب الضمني مما قد يستثير القارئ للبحث عن هذه الدلالات وفهمها خاصة إذا ما علمنا

أن الكاتب ((لا يحدد رموزه مسبقاً بل يَدعُ القارئ لكي يُجري تمارين مختلفة ويبذل جهداً لاكتِشاف هذه الرموز عن طريق إعادة خلق حياة يتحمل النص نبضها))[٧] وهذا من دون شك يعدُ وسيلة جذبٍ للقارئ نحو النص والاقبال عليه بمجرد قراءته للعنوان لما يتضمنه من غرابة وطرافة.

ويمكن أن نفهم هذا العنوان بصياغة جديدة مفادُها: (الطفل لم يسقط في البئر) وهذا الفهم يحيلنا إلى معنى آخر يرتبط بقصة طفولة يوسف النبي (عليه السلام) ، وكأن الكاتب يقرن طفولته بطفولة النبي يوسف ، بواقعها المادي الملموس والمحسوس وفي زمنها اللحظوي (الآني) لينطلق بها عبر الزمن المفتوح ، لنفهم أنها ليست مجرد استذكار مرحلة زمنية عابرة وإنما أراد الكاتب أن يجعل منها قضية إنسانية خالدة بكل ما تحمله الكلمة من معنى الخلود واستشراف المستقبل . وبهذا يلتبس محمود الطفل بمحمود الفلسطيني ومن ثم بيوسف (ع) وتلتبس البئر التي كان يعرفها الكاتب في قريته بالبئر التي غُيبَ فيها الفلسطيني ومن ثم بالبئر التي أُلقيّ في غيابتها يوسف عليه السلام[٨] .

ولعلَّ الكاتب يريد من خلال هذا المقال أن يُفصحَ عن جانب من هذه الطفولة المغيبة بصورة تأملية عبر الحوار مع الذات بما يسمح للقارئ أن يسبح في أجواء النص لمحاورة هذه الطفولة ومعرفتها وهو ما يتكفل به النص بعد ذلك بكشف تفاصيلها ابتداءً بضمير الغائب .

ولعل ذكر حدث الولادة ومرحلة الطفولة الأولى بضمير الغائب له ما يبرره عند شكري المبخوت لأن ((من عاش حدث الولادة ومن يتحدث عنه هما شخصان مختلفان زمنياً : أحدهما وليد لا يتكلم في المهد وثانيهما كهل تعلم القراءة والكتابة))[٩] .

أن درويش ((يصور لنا موقفاً إنسانياً خاصاً من شخصية إنسانية ، فيعكس لنا تأثره .. وانطباعِاته الخاصة ، .. ويحاول أن يخطط معالمها الإنسانية تخطيطاً فنياً واضحاً معتمداً على التنسيق والاختيار ، بحيث تتراءى لنا الشخصية الموصوفة وكأنها حية متحركة تحدثنا ونصغي إليها))[١٠] .

في هذا المقال يوظف درويش كل الخيارات المتاحة في استعمال الضمائر التي يمكن توظيفها للدلالة على صاحب المقالة صراحة أو ضمناً فيستعمل ضمير المتكلم حيناً كما في :

– لولاه لكنت يتيماً قبل أواني .. [١١]

وتارة يستخدم ضمير المخاطب كما في :

– وأنتم .. ماذا فعلتم بأرضكم ؟[١٢]

وتارة أخرى بضمير الغائب :

– هكذا آثروا جميعاً ، بالفطرة والكرامة ، أن يبقوا في وضع خانق طال توقيته ..[١٣] .

أن هذا التنوع في استعمال الضمائر يوفر للكاتب مرونة كبيرة في عرض الوقائع والأخبار ، فضلاً عن أنه يُعد وسيلة تبعد الضجر والسأم عن القارئ في متابعته للأحداث ، وقد يشير ضمير المخاطب أو الغائب إلى الآخر (الفلسطيني أو العدو) أو في أحيانٍ أخرى وبشكل ضمني إلى الكاتب .

كما نلمس الصيغة الحوارية الدرامية في بعض أجزاء المقال ، والذي قد لا يكون بالضرورة حواراً مباشراً بين شخصين صريحين (ديالوج) وهو ما يُظهره الحوار ، بل حوار مع الذات (المونولوج) والاستدعاء واستحضار الماضي عن طريق الفلاشباك بلقطات موجزة سريعة ومؤثرة . فللوهلة الأولى يظن أن الحوار يدور بين الكاتب وأبيه إذ يقول:

– ماذا تفعل يا أبي ؟

– أبحث عن قلبي الذي وقع في تلك الليلة.

– وهل تجده هنا ؟

– أين أجده إذن ! أنحني على الأرض وألتقطه حبات حبات كما تجمع الفلاحات ، في تشرين حبات الزيتون .

– ولكنك تلتقط حصى ! .

– شيء كهذا يمرن الذاكرة والبصيرة ، وما أدراك قد يكون هذا الحصى تكلس قلبي . وإذا لم يكن – أكون قد تعودت على محاولة البحث وحدي عن شيء حين ضاع ضيّعني[١٤] .

إلا أنه يتضح بعدَ ذلك أن محمود درويش يحاور طفولته ، وأن طفولته هي الابن وأنه هو الأب ، ومما يدلل على ذلك توحد السائل والمجيب في شخص واحد هو المؤلف ، فالسائل هو درويش الصغير والمجيب هو درويش الكبير من خلال مخرجات ذاكرته العتيدة . ويبدو ذلك التوحد جلياً في قوله :

– ماذا تذكر أيضاً ؟

– أذكر أني تعلمت السفر وحدي في سن مبكرة . سافرت أمي إلى عكا فغضبت لأنها تركتني[١٥] .

وقوله :

– ماذا كانت تعني الهزيمة لك ؟

– أن أطلب شيئاً ولا يتحقق ...

– كيف يبحث طفل قروي عن أمه في مدينة مزدحمة ؟

– كما فعلت أنا .[١٦]

وقوله :

– تذكر متى افترقنا ؟

– حين مات جدنا ولم يدفن في قبر اختاره ، ولم تخجل الاذاعة[١٧] .

فيغدو السؤال ممارسة طفولية للغة وتغدو الطفولة إقامة في السؤال والناظر إلى هذه النصوص يلاحظ أن الطفل الذي ما فتئ يتسلل إلى هذه النصوص هو الذي يشهر الأسئلة كلها ويواجه بها العالم أي أن حضور الطفل واحتماءه من عنت الواقع بالسؤال هو الذي يشرِّع لوجود الحوار ويفتح النص على الأزمنة كلها . فيكون بذلك للخيال أثر بارز في البناء العام وسرد الأحداث لاسيما تخيل الكاتب طفولته وأنسنتها وهي تقفز من صدره لتجلس أمامه وتحاوره .

في سياق آخر من المقالة يتحدث محمود درويش عن فلسطين ويصفها بالفردوس المفقود في جمالها ، وفي فقد الفلسطيني لها ، إلا أنها تختلف عن هذا الفردوس في أنها ليست مفقودة وهي قابلة للإستعادة مادام الصراع الفلسطيني – الأسرائيلي قائماً . إذ يقول في ذلك :

– الفرق بين الفردوس المفقود بالمعنى المطلق وبين الفردوس المفقود بالمعنى الفلسطيني هو خلو حالة الحنين والانتماء النفسي والشرعي من منطقة الصراع . مادام الصراع قائماً ، فإن الفردوس لا يكون مفقوداً ، بل يكون محتلاً وقابلاً للاستعادة[١٨] .

ويستعمل الكاتب أسلوب القص أو الحكي معتمداً بذلك على ما يُعرف بالاسترجاع أو (الفلاشباك) أي سرد أحداث وقعت في الماضي وبشكل لا يخلو من الوصف[١٩] . مما يعزز من عنصر الجذب والتشويق الذي يتميز به أسلوب الحكي فضلاً عن أنه يوفر فرصة طيبة للكاتب في ادارته للمقال بوصفه فناً أدبياً خالصاً ((فالمقالة كالقصة فرع من الأدب الخالص وليست فرعاً من الدراسة الأدبية ...))[٢٠] .

فهو يسرد لنا بعض الأحداث والمواقف التي مرَّ بها ولاسيما في زمن الطفولة بقوله :

– أذكر شكلاً غامضاً ساعدني على الاستعانة بالخيال والحلم[٢١] .

– آه . كنا سياحاً يومها كان جدي يحمل كيساً كبيراً من النقود ، وينزهنا في لبنان . يأخذنا إلى كروم التفاح لنختار الفاكهة المعلقة على الشجر[٢٢] .

لقد استطاع الكاتب أن يُضفي على نصه نوعاً من الوحدة والتكامل الفني والموضوعي من خلال وحدة الحدث والموضوع والتنوع في استعمال الضمائر والأساليب والاستعانة بالحوار الدرامي ورواية الأحداث بأسلوب تقريري مباشر والنزوع أحياناً نحو الشعرية والسخرية ، كما جعل من نهاية المقال تتطابق مع بدايته ولاسيما في العنوان ، إذ يقول إبتداءً :

– القمر لم يسقط في البئر[٢٣] .

ويختم بقوله :

– ويقطف القمر الذي لم يسقط في البئر[٢٤] .

وهو ما يجعل القارئ يتمثل النص مجدداً على غير ما قرأه إبتداءً وخرج به من حصيلة أحكام وقناعات تبدو حزينة ومأساوية .

٢– الوطن بين الذاكرة والحقبة :

قد يكون هذا المقال أكثر الفصول تماسكاً بين الفصول ، إذ ان جميع أجزائه محبكة وتصف علاقة الكاتب بالوطن وتسرد قصته وتجربته معه وتبين وجهة نظره ومفهومه اتجاهه . ولعل العنوان يرمز للوطن بين زمنين مختلفين ومتناقضين هما زمنا (الحرية والاحتلال) ولاشك أن الرمز سمة بارزة في أغلب العنوانات المقالية لمحمود درويش كما في (الفرح .. عندما يخون) و(صمت من أجل غزة) فمن خصائص العنوان لديه ((أن يكون موحياً ذا ظلال وألوان يستطيع القارئ أن يتذوق ذلك فيه، ويستطيع أيضاً أن يصل بينه وبين فحوى المقالة على نحوٍ متين ، وليتصل بالايحاء أن يكون العنوان رمزاً ، ولكنه ليس رمزاً معقداً ملتوياً بل رمز يكشف عما وراءه ...))[٢٥] .

يستهل الكاتب المقالة بأسلوب انشائي إلا وهو أسلوب (الاستفهام) ويطرح فيها السؤال الآتي :

– ما هو الوطن ؟

فهذا المفتتح غاية في الاختصار والايجاز ، والقدرة على استقطاب القارئ وشد انتباهه للتركيز في البحث عن الجواب الذي يتوارى خلف هذا السؤال على امتداد المقال وهو جواب ليس تقريرياً انشائياً بقدر ما هو استقرائي استنباطي يُستل ويستشف ضمناً وتدريجياً خلال القراءة ، لذلك هو يتجه نحو القارئ مستفزاً كيانه العقلي والعاطفي لاستشراف الإجابة التي بثها الكاتب في المقال من خلال إجابات مطردة ومتنوعة بشكل مباشر وغير مباشر تصب جميعاً في الإجابة عن السؤال الاستهلالي الذي يجعل منها في النهاية مقالاً أدبياً مترابطاً متراصاً ، فهنالك ثمة مركزية تربط الأشياء فيما بينها وتسمح للقارئ والكاتب معاً في عدم الابتعاد عن فكرة النص مهما تشعبت الأحداث .

في هذا المفتتح يدافع الكاتب عن نفسه وعن قضيته بوصفه كان دائماً ولم يزل مدافعاً عنها ، وأنه المعني الأول بالسؤال عن الوطن وترجمته أكثر من غيره ، وهو صاحب قضية ورسالة ، وأنه سيظل كذلك إلى أن يموت أو يتوب ويتراجع عن حبه للوطن أو يخون وهو محال لأنه يقدم الموت على الخيانة .

وقد وظف درويش بعض العناصر الفنية في النص مثل توظيف عنصر (التناص والاقتباس) واستلهام التراث ومحاكاته لاضفاء مسحة جمالية وفنية عليه فهو يقول:

– هم الخصوم والحكام[٢٦] .

متناصاً مع قول المتنبي:

– فيك الخصام وأنت الخصم والحكم.

فهو يصور الإسرائيليين أعداءً وحكاماً في الوقت نفسه، وهم من يقر القوانين ويضعها، ويفرضها ويخرقها في الوقت نفسه ، وهو تصوير ((يجعل من النص المرجعي رديفاً جمالياً للنص الحاضر وجزءاً من تشكل معناه))[٢٧] .

ونتلمس ذلك في موضع آخر في استلهامه لقصة موسى (ع) في القرآن الكريم وما فيها من خروج قسري من الأرض ورجوع اختياري ، وقد جاء توظيفه للفعل المضارع فيها ليشعر القارئ باستمرارية الحدث والصراع الأزلي الذي تمتد جذوره إلى الماضي ، فيتوحد فيه الزمنان والحدثان (في الماضي والحاضر) ليعطي صورة مشرقة لهذا الحدث بالعودة والأمل . إذ يقول :

– تخرج مع موسى من مصر هارباً تضرب البحر بعصا ، ينشق البحر يمر بنو إسرائيل ، ثم يلتهم البحر أعدائهم ، تبقى في صحراء سيناء أربعين عاماً ، تتصالح مع الرب وتعود ...[٢٨] .

كما يستعمل الطبيعة ليعبر من خلالها عن شيء أبعد منها ألا وهو رؤيته الخاصة لمأساة الوطن والأنسان ، وهي الرؤية التي تسيطر عليه تمام السيطرة[٢٩] ، وتُخيم علي أحاسيسه ووجدانه بما فيها من متناقضات وجودية تحمل في طياتها صور الجمال والقهر والألم والأسى في آنٍ واحد .

يقول :

– كل بيت يختبئ في غابة ..

– في وادٍ يحمل ثلاث هضاب وطريقاً صغيراً إلى البحر .

– السكان الأصليون نقلوا إلى قمة أحد التلال[٣٠] .

ويشكل عنصر المفارقة والسخرية بما فيه من حس أدبي ناقد واحداً من العناصر التي امتاز بها أدب محمود درويش ، إذا ما علمنا انه نشأ في بيئة ملأى بالتناقضات ، وهو ما حرص على إثباته من خلال وصف الواقع الفلسطيني المعاش مع الواقع الإسرائيلي .

فيقول :

– هم يحيون ذكرى الحجارة والمومسات وأبطال العدوان .

– ويحيون ذكرى ضحاياهم الحقيقية وأنت ممنوع من إحياء ذكرى أحد أو شيء .

– أكثر من ذلك : يدعونك إلى الاشتراك في احتفالات إنتصاراتهم عليك وإذا رفضت عوقبت .

– لم يسمحوا لك باحياء ذكرى ضحايا كفر قاسم[٣١] .

فالكاتب لم تنقصه القدرة على اقتناص مواضع المفارقة في الحياة من حوله على المستوى الفردي وعلى المستوى الجمعي ، كما لم تنقصه القدرة على توظيف هذه المفارقة وبأنماطها المختلفة ليبني منها جمالية شعرية ساحرة ومؤثرة[٣٢] . يمكن أن تسهم في الاقناع وإيصال الفكرة.

في جانب آخر من المقال ينزع الكاتب نزعة وجودية في تصويره للارتباط العربي والارتباط الإسرائيلي بالأرض ، تصويراً يظهر الأغتراب العربي في أرضه ووطنه اغتراباً مكانياً ونفسياً عندما يقول :

– العرب موجودون في فلسطين في علاقة (أنا وهو) .

– أما اليهود ، فموجودون في فلسطين في علاقة (أنا وأنت)[٣٣] .

فعلاقة (أنا وهو) توجد في المكان والزمان وتخضع لقانون السببية ، وفي هذه العلاقة لا تظهر الحرية ، بل الضرورة . أما علاقة (أنا وأنت) فتوجد خارج الزمان والمكان وهي مستقلة عن قانون السببية وفيها تظهر الحرية . وعلى هذا يكون الوجود الإنساني للفلسطينيين غير حقيقي على اعتبار أن علاقة اليهود بفلسطين ليست كعلاقة العرب بها لأن العرب موجودون في فلسطين بعلاقة (أنا وهو) ومن السهل قطعها ونقلهم إلى مكانٍ آخر[٣٤] .

أن هذا المقال يصور في كثير من أجزائه علاقة المؤلف بالوطن وقد كان المؤلف محتاجاً لأنَ يُسهب في شرح علاقته بوطنه ليدافع عن نفسه ويثبت أنه لم يخن فلسطين حين خرج منها وأنه لم يخرج منها ليرتاح من عبء القضية فهو يقول في نهاية المقال :

– لم يكتفوا بالاستيلاء على كل شيء .

– يريدون أن يستولوا أيضاً على انتمائك لتكون الواقعة بينك وبين الوطن ليصير الوطن هو العبء والقيد والألم .

– ولكنك لن تجد الحرية خارج هذا القيد .

– ولن تجد الراحة بعيداً عن هذا العبء .

– الوطن في ذاكرتك وفي خلايا جسمك .[٣٥] .

وهذا يُشعرنا بتحول الصراع من صدام مع الآخر (العدو) إلى صراع مع الذات ، فاكتشاف درويش لهذه الحقيقة المرّة جعله يحس أن هناك محاولات لحمله على نسيان فلسطين ومعالمها ، لاسيما وأنه متهم بالخيانة لأرضه وشعبه[٣٦] . لكنه يأبى إلاّ أن يكون صوتاً صادحاً وضميراً حيا للوطن بين الذاكرة والحقبة ((فالوعي الفلسطيني حين يتحلق حول الأرض – المكان بنبرة مليئة بالحنين فإنه يهيئ للفعل التأريخي ، لذلك يأتي هذا الفعل ليكثف الوعي ويجعله يتحلق حول الانسان

الذي يقوم بدوره بإعادة صياغة الزمن بين الأرض ونقيضها الذي يعيد لها المعنى ، يقف المتكلم الغائب في أكثر محاوراته مأساوية واستدارةً ليرسم إطارات الحركة وليصبح وعيه ذاكرة جماعية تلتقط من اليومي المباشر لحظة الامتداد إلى زمن عربي))[٣٧] .

ويطالعنا هذا الأمر في بداية المقال :

– ما هو الوطن ؟ ... لم يواجه أحد هذا السؤال كما تواجهه أنت. منذ الآن إلى أن تموت ، أو تتوب أو تخون .[٣٨]

فهو يقدم الموت على الخيانة والتوبة ليشعرنا أن خيار الموت أقرب إلى نفسه من خيار التراجع عن حب الوطن والتخلي عن قضيته، وأن العودة إلى ربوع الوطن والحلم باستعادة الهوية المضيعة لا يتحققان إلاّ من خلال فعل الموت الذي يؤديه الفدائيون[٣٩] .

٣- من يقتل خمسين عربياً يخسر قرشاً :

تصور هذه المقالة المذبحة التي ارتكبها اليهود بحق الفلسطينين مذبحة (كفر قاسم) والتي أقدموا عليها بدم بارد ، فهذه المذبحة تظهر مدى إيغالهم في ظلم الشعب الفلسطيني والاستخفاف بدمه وحرمته وقد صور الكاتب أحداث هذه المجزرة بأسلوب لا يخلو من السخرية والتهكم إزاء هذا الاستخفاف السافر بالدم العربي وتتضح جوانب هذه السخرية المرة من الوهلة الأولى لقراءة العنوان . إذ أن من يقتل خمسين عربياً لا يخسر شيئاً وان خسر فهو شيء تافه ليس له قيمة وهو ثمن قتل هؤلاء، وهكذا يمكن أن تتكامل الصورة والروح الساخرة بين المتن والعنوان.

والكاتب معنيٌ في هذه المقالة بتوصيل المضمون بوضوح والتأكيد عليه أكثر من عنايته بالتشكيل الخاص باللغة والأسلوب واطلاق العنان للخيال ، فالقضية تتعلق بسرد حادثة جرت على أرض الواقع بوصفها وثيقة تأريخية ، لكن ذلك لا ينفي عن المقالة صفة الأدب . إذ يلجأ الكاتب إلى التكرار والرمز (تكرار الكلمات أو الجمل) والتكرار فيه تأكيد على المعنى فضلا عن كونه يضفي على النص نوعاً من الإيقاع الداخلي ، ففي الفقرات الثلاثة الأولى من المقال يكرر عبارة (هنا ينامون).

– هنا ينامون . أسماؤهم كثيرة وموتهم واحد .

– هنا ينامون . نالوا عقاباً على جريمة غامضة .

– هنا ينامون . ويكبر الغروب[٤٠] .

ولاشك أن هذا التكرار يتناسب مع الوظيفة الاستهلالية للمقال في توفير عنصر التقبل والتركيز بالنسبة للقارئ نحو الموضوع ، واستدعاء قيمة قصوى لأهمية الحدث والتأكيد عليه ، فهؤلاء الأموات هم أبناء جلدته يرقدون هنا في هذه الأرض بسلام رغم بشاعة الجريمة ، وهم نيام

تحتضنهم الأرض كما تحتضن الأم وليدها بدفء وحنان ، ويكون الغروب هنا معادلاً رمزياً لحياة تبدأ بفناء الأجساد وخلود الأرواح .

ومن جهة أخرى ربما تبدو هذه العبارات مناسبة للذكرى واستحضار مشاعر خاصة في الزمان والمكان الذي وقعت فيه الحادثة فيتماهى الكاتب بالشاعر الذي شكى وبكى على الأطلال .

إنّ الكاتب يعتمد في إدارته للمقال على أسلوبين فنيين رئيسين هما :

١- أسلوب الحوار الدرامي .

٢- أسلوب السرد القصصي .

ففي القسم الأول من المقال ينجح الكاتب في اعتماد أسلوب الحوار الدرامي في نقل الحدث من خلال شخصيتين هما (القاضي والجندي) بما دار بينهما من حوار ؛ مما يعطي زخماً حركياً دراماتيكياً في عرض الوقائع والأحداث على لسان الشخصيات وليس على لسان الكاتب ، كما أنه يجعل من هذه المحاورة التي جرت على شكل محاكمة بين الشخصيتين لا تعدو أن تكون أكثر من تمثيلية شكلية تنتهي لصالح الجندي المعتدي .

- القاضي : هل كنت ستقتل كل واحد ؟
- الجندي : نعم .
- القاضي : حتى لو كان ذلك الشخص امرأة أو طفلاً ؟
- الجندي : نعم
- القاضي : كنت تقتل كل من تراه .
- الجندي : نعم[٤١] .

إنّ هذا الحوار ينبئ عن مدى إمعان اليهود في حقدهم على الشعب الفلسطيني وايغالهم فيه ظلماً وجوراً ولاسيما في مكان يفترض أن تتحقق فيه العدالة والإنسانية ألا وهو المحكمة، ولكن يحصل بخلاف ذلك، فكان أن أخذ الجندي المعتدي الضوء الأخضر من المحكمة لارتكاب جرائمه .

ولاشك أن نظرة فاحصة إلى هذه الفقرة الحوارية تدلنا على كيفية تحول كيمياء اللغة إلى إكسير سحري ، يبث في الحدث الواقعي المفضي إلى النهاية المأساوية لحياة لا تفنى تتمثل بقتل الانسان الفلسطيني ، وهي حياة مستمدة من حيوات لغات التراسل والتواصل البشري ، الباقية بقاء البشر[٤٢] ولا ريبّ ((في أنّ عنصر الحوار يلتقي مع عناصر المقالة الأخرى من خيال وعاطفة ولغة فيزيد من تماسك بنائها وقوة أثرها))[٤٣] ومن ثم يمكن أن يوفر للمتلقي أرضية مناسبة للاقبال على النص بلهفة أكبر لمتابعة الأحداث والأخبار لا سيما بعد أن يعلم بالنتيجة المأساوية للمحاكمة من خلال المشهد الدرامي وما آل إليه مصير البطل التراجيدي الذي يمثله الشعب الفلسطيني .

وعند الانتقال إلى القسم الآخر من النص الذي يمثله السرد القصصي الذي يجري على لسان شخصية حقيقية ذات مرجعية واقعية اسمها (صالح خليل عيسى) والتي تنهض برواية أحداث مذبحة كفر قاسم بأسلوب تقريري مباشر بوصفها شاهداً على العصر، إذ يستعين بها الكاتب لتؤدي دور الراوي أو السارد في نقل الاحداث لإيجاد حالة من التنوع والخروج من رتابة نقل الأحداث داخل المتن المقالي.

يقول :

- في ذلك اليوم كنت أعمل في بيارة .
- بعد قليل سمعنا صوت إطلاق رصاص .
- فجأة ظهر رجل من حرس الحدود .
- نزلنا عن الدراجات[٤٤] .

ومرة أخرى نتلمس ملامح الكاتب مستخدماً أسلوبه الساخر في بيان وحشية اليهود ولا انسانيتهم عن طريق المبالغة وتشويه المنطق وتوظيف ما يعرف بـ (الغروتسك)* لتحقيق فائدتين : النقد والتهكم أولاً واثارة الضحك والسخرية ثانياً . إذ يقول :

- ثم .. بدأت محاكمة القتلة ، بعدما أدين القتلى ![٤٥]
- فصارت الجريمة مزدوجة : قتلوهم .. وأرغموهم على إعلان الولاء . لقد استجوبوا الجثث[٤٦] .

وفي الختام يمكن القول إن هذه المقالة تأخذ من فن المقالة النزعة الخطابية ، ومن الفن القصصي أسلوب السرد ، ومن الفن الدرامي أسلوب الحوار ، ومن الشعر الاعتماد على الرمز والايحاء بحيث ((يسهل على القارئ في النهاية أن يستخلص الفكرة العامة أو الأساسية ... دون أن يتشتت ذهنه في تفصيلات واستطرادات لا تتصل بالفكرة الأساسية برباط عضوي بمعنى أنه لا يمكن حذفها من المقالة دون أن نحس بوجود ثغرة أو بتر في هيكلها العام ...))[٤٧] .

٤- يوميات الحزن العادي :

اشتملت هذه المقالة على مجموعة من الأحداث والفصول المتفرقة التي لا يجمع بينها إلا الجو النفسي العام إلا وهو (الحزن) فلم تسر هذه الأحداث على وتيرة واحدة من الحتمية والمنطقية بل كان كل مشهد فيها مستقلا بذاته وأحداثه عن المشاهد الأخرى ، إذ ينكسر تسلسلها الأفقي ولا يحدث فيها خلل عند تقديم مشهد على آخر ، ولذلك نستطيع القول أن الكاتب جعلها تقترب في بنائها من اليوميات أو الخواطر السريعة الموجزة المعبرة عن لحظة حياتية آنية عاشها الكاتب ولذلك جعل

كل حدث منها يحمل رقماً محدداً فهي تبدأ بالرقم (١) وتنتهي بالرقم (١٧) وكأن الرقم يعبر عن اليوم ، فبمجيء رقم جديد يبدأ يوم جديد وحدث أو مشهد جديد . مما يؤثر على اختلاف هذه الأحداث وعدم ارتباطها ببعض، ثم تأتي الأحداث لتوضح أسباب هذا الحزن المخيم فيتبين أن الكاتب لم يكن قادراً على الاستمتاع بحياته فهو لا يستطيع أن يُحبَ دون أن يتأثر بالأحداث التي تعصف بوطنه ، ولا يستطيع أن يستمتع بحريته لأنه مهدد بالسجن لأي سبب كان ، ولا يستطيع أن يستمتع بمنظر الشارع المليء بالجنود والآليات ولا يستطيع أن يفرح في عيد رأس السنة وكل ما حوله مدجج بالسلاح حتى الفتاة الجميلة والأطفال ، فالفتاة جندية يهودية ، والأطفال يستمتعون باللعب بالسلاح .

في هذه الفصول يلعب الزمن دوراً مؤثراً وكبيراً في تجربة ذاتية مؤسسية فهو يتوزع بين ماضٍ وحاضر ليعبر عن قلق الكاتب النفسي والوجودي وشوقه وحنينه فهو يقول:

– أنحني يا حبيبتي ، ريثما تمر العاصفة ..

– حين تشتتهما العاصفة ، كان الحاضر يصرخ بالماضي ..[٤٨]

فالحبيبة هي الأرض والأرض تغدو حالة نفسية وذهنية ، وصراخ الكاتب هنا ناتج عن حرقة البعد عن أرض فلسطين لذلك يعتبر ذكرياته الماضية يوم كان هناك مع (الحبيبة – الأرض) أهم شيء في حاضره وهو بعيد عنها وهو لا يريد أن يرتاح في هذا الحاضر الذي فرض عليه أن يكون فيه بلا مواجهة مباشرة مع من يحاصر حبيبته . ولعل هذا ما نستشعره في قوله :

– من شدة الانحناء صار ظهري قوساً ، فمتى تطلق سهمك ؟

– من شدة الانحناء صار ظهري قنطرة ، فمتى تعبر ؟[٤٩]

لقد عبرَّت هذه المشاهد – على اختلافها – عن عظم الأزمة الوجدانية وعمق الأسى الذي يتحكم حياة درويش وهو يستعرض أفكاره ومشاعرهُ المستندة إلى واقع مرٍ معاش يعصف به ويحاصره من كل جانب، ليتشكل في الزمن الكوني والزمن الواقعي بوصفه تاريخاً وذكريات فردية وجماعية. وقد استطاع الكاتب تصويرها عبر سرده لأحداث متنوعة ومتلاحقة كثّفت من الصورة المأساوية المعاشة بصورة لا تخلو من السخرية والمفارقات المضحكة المنطوية على النقد الخفي.

وهذا بعد مأساوي لأن تشريد الفلسطيني يجعله مطارداً وبلا هوية كشيء من الممنوعات فوق الأرض العربية وفي أرجاء العالم فهو في غربة جسدية عن المجتمع الفلسطيني فوق تراب أرضه وبين أهله وناسه حتى أن الوجود لديه أصبح وجوداً فلسفياً أو افتراضياً لا قيمة له من الناحية الفعلية فهو يقول:

– ثم تدرك أنك موجود فلسفياً ، وغائب قانونياً[٥٠] .

وهو معنى استطاع الكاتب بثه وتصويره على شكل لوحات واقعية مقتبسة من الحياة اليومية المعاشة في مواطن عدة من المقال منها :

انه كان نائماً فأيقظه اليهود الساعة الرابعة صباحاً ثم اعتقلوه من دون سبب ، وما قاله لـه اليهودي سائق سيارة الأجرة الذي ركب معه ذات مرة أنه يتمنى أن تمسح دولة العرب عـن وجـه الأرض . وفي مشهد آخر يذكر أنه سافر إلى القدس دون تصريح فحكم عليه بالسـجن شـهرين ، وحينما أراد السفر إلى اليونان اكتشف أنه لا يُعدُ مواطناً لأنه عاد إلى فلسطين متسللاً فلا يحق له إذاً بإصدار جواز سفر لأنه موجود فلسفياً وغائب قانونياً .

كذلك بالنسبة للفعل الذي قام به جيرانه اليهود عندما منعوه من الاحتفال بعيد ميلاده وأبلغوا السلطات عنه بدعوى أن ذلك يزعجهم ، وما قامت به السيدة اليهودية التي أبرمَ معها عقداً لاستئجار شقة على الكرمل إلا أنها عدلت عن الاتفاق بعدما علمت أنه عربي فقط ، فضلاً عن عدم زيارته لأمه في أيام العيد لأن زيارتها تحتاج إلى تصريح .

كل هذه المشاهد بما فيها من طغيان واضح لروح السخرية والنزعة التهكمية يفضـي إلـى عمق الأزمة والصراع الداخلي للكاتب ، التي تكرسها وتجعل منها حدثاً متوالياً مستمراً يصعب الفكاك منه ولعل استخدامه للفعل المضارع في منفتح هذه المشاهد مصداق على ذلك فهو يقول :

- تريد أن تنام [٥١] .
- تعود إلى البيت بسيارة أجرة ؟ [٥٢]
- تحتفل بعيد ميلادك [٥٣] .
- تريد أن تزور أمك في العيد . [٥٤]

ليستفيق منها درويش من حلمه بانتمائه المادي والوجودي لأرضه ليجـد مـانع الاحـتلال والعنصرية حائلاً يبقيها بعيدة عنه ويعيد رسم معادلة الخروج من الأسار الرومانسي إلى العلاقـات الواقعية فالعلاقة بالأرض ليست مباشرة أنها تمر عبر الموت والانتحار نتيجة الشعور بعدم الانتماء الذي فرضه هذا الواقع ، لذلك ليس هناك بداية أو نهاية هناك حركة لا تنتهي ، وعي الواقع لا يعني تجميده بل أن فهمه في حركته ، وحركته إلى الأمام لا تتوقف ولا تنتهي أنه مسـتمر علـى شـكل يوميات . لذلك شكل الشعور بالغربة والعروبة والأرض المحور الأساس للمقال يبث الكاتـب حنينـه وتعلقه وكل ما يفكر به نحو عروبته وأرضه السليبة والشوق الدائم لحضنها الدافئ الذي انتزع منه وظل قريباً منه في الوقت نفسه ، فشكل ذلك صدمة نفسيه له جعلته في غربة نفسية ووجودية دائمة وهو على هذا الحال ليعيش الحزن والأسى أمام الزمن الرتيب الذي يمرُّ سدى وأمام ناظريـه . لأن فلسطين هي أم درويش وحبيبته وامرأته وهي كل فتاة حلم بها أو تغزل ، إذ شـكلت الأرض عنـده

أساس الشعور بالانتماء وبؤرة الوجود وغدا كل وجود دونها غربة وتمزقاً وضياعاً وموتاً كما غدت ذات الكاتب امتداداً لأرض وطنه وجزءاً من اجزائها وأن كان الواقع سخيفاً أو رتيباً مملاً فُرض عليه .

الخاتمة :

يمكن ايجاز أبرز النتائج التي أسفر عنها البحث بما يأتي :

١- ان مقالات (يوميات الحزن العادي) أقرب ما تكون إلى مقالات البوح والسيرة الذاتية .

٢- تعبر هذه المقالات عن تجربة الكاتب داخل فلسطين في ظل الاحتلال الإسرائيلي وحالة الصراع القائم بين الطرفين ، والحنين والاغتراب .

٣- لا يعتني الكاتب غالباً بالالتزام بالبناء التقليدي للمقالة الذي يقسمها إلى مقدمة وعرض وخاتمة.

٤- يقوم المقال على المواءمة بين لغتي الشعر والنثر فتارة يأتي على لغة تقريرية مباشرة وتارة أخرى على لغة قوامها الصور الشعرية والرمز والايحاء والخيال .

٥- الحرص على إبراز المفارقات والنزعة التهكمية الساخرة في الكثير من المقالات .

٦- يستعمل الكاتب بعض الألفاظ والجمل بشكل متكرر حتى تصبح أشبه باللازمة في القصيدة .

٧- بروز النزعة الدرامية بشكل واضح ومتكرر في بعض المقالات .

الاحالات والهوامش :

(١) ينظر : محمود درويش شاعر الصمود والمقاومة ، جمال بدران ، ١٠٠ .

(٢) ينظر : يوميات جرح فلسطين ، معاذ السرطاوي ، ١٠٥ .

(٣) ينظر : محمود درويش حالة شعرية ، د. صلاح فضل ، ١٤ – ١٦.

* الأعمال الجديدة الكاملة ، محمود درويش ، ج٣ ، ط١ ، ٢٠٠٩ ، ٣٥٣ – ٥٠٢ .

(٤) ينظر : محمود درويش ناثراً ، د. تهاني شاكر ، ٧٨ – ٧٩ .

(٥) ينظر : المصدر نفسه ، ٢٦٤ .

(٦) ينظر : اضاءة النص ، اعتدال عثمان ، ١٣١ .

(٧) مجنون التراب ، شاكر النابلسي ، ٥٨٤ .

(٨) ينظر : تحولات التناص في شعر محمود درويش ، خالد جبر ، ١٤٠ .

(٩) سيرة الغائب سيرة الآتي ، شكري المبخوت ، ١٣ .

(١٠) فن المقالة ، محمد يوسف نجم ، ٩٣ .

(١١) الاعمال الجديدة الكاملة ، محمود درويش ، ٣٥٨ .
(١٢) المصدر نفسع ، ٣٧٢ .
(١٣) المصدر نفسه ، ٣٧٥ .
(١٤) المصدر نفسه ، ٣٥٧ .
(١٥) المصدر نفسه ، ٣٥٨ – ٣٥٩ .
(١٦) المصدر نفسه ، ٣٥٩ .
(١٧) المصدر نفسه ، ٣٧٧ .
(١٨) المصدر نفسه ، ٣٦٢ .
(١٩) ينظر : بنية النص السردي ، د. حميد لحمداني ، ٧٨.
(٢٠) طه حسين المقالي ، د. سعيد عدنان ، ١٣ .
(٢١) الاعمال الكاملة ، مصدر سابق ، ٣٦٠ .
(٢٢) المصدر نفسه ، ٣٦٥ .
(٢٣) المصدر نفسه ، ٣٥٧ .
(٢٤) المصدر نفسه ، ٣٧٧ .
(٢٥) طه حسين المقالي ، د. سعيد عدنان ، ١٥ .
(٢٦) الاعمال الكاملة ، ٣٨١ .
(٢٧) ينظر : تحولات التناص في شعر محمود درويش ، ٢٥ .
(٢٨) الاعمال الكاملة ، ٣٨١ .
(٢٩) ينظر : محمود درويش – شاعر الأرض المحتلة ، رجاء النقاش ، ١٦١ .
(٣٠) الاعمال الكاملة ، ٣٨٩ .
(٣١) المصدر نفسه ، ٣٩١ .
(٣٢) ينظر : المفارقة في شعر محمود درويش ، خالد سليمان ، ٢٢٥ .
(٣٣) الاعمال الكاملة ، ٣٩٣ .
(٣٤) المصدر نفسه ، ٣٩٣ – ٣٩٤ .
(٣٥) المصدر نفسه ، ٣٩٨ .
(٣٦) ينظر : الغربة في شعر محمود درويش ، احمد جواد مغنية ، ٣٠ .
(٣٧) الذاكرة المفقودة ، إلياس خوري ، ٢٦٨ .
(٣٨) الاعمال الكاملة ، ٣٧٩ .
(٣٩) ينظر : الغربة في شعر محمود درويش ، ٢٦ .
(٤٠) الاعمال الكاملة ، ٤٢٩ .
(٤١) المصدر نفسه ، ٤٣٢ .
(٤٢) ينظر : إضاءة النص ، اعتدال عثمان ، ١٣٨ .

(٤٣) المقالة الأدبية في الأدب العربي الحديث بين الازدهاء والأفول ، د. سعيد عدنان ، ٧١ .

(٤٤) الاعمال الكاملة ، ٤٣٥ .

* الغروتسك : تسمية تستعمل في علم الجمال كصفة أو طابع لكل ما هو غير منتظم ويتصف بالغرائبية ، ولكل ما يضحك من خلال المبالغة والتشويه ويناقض ما هو سامٍ ورفيع . المعجم المسرحي ، ماري إلياس ، ٣٢٩ .

(٤٥) المصدر نفسه ، ٤٤٢ .

(٤٦) المصدر نفسه ، ٤٤٥ .

(٤٧) الادب وفنونه ، محمد مندور ، ١٩٢ .

(٤٨) الاعمال الكاملة ، ٤٠٠ .

(٤٩) المصدر نفسه ، ٣٩٩ .

(٥٠) المصدر نفسه ، ٤١٩ .

(٥١) المصدر نفسه ، ٤١٤ .

(٥٢) المصدر نفسه ، ٤١٦ .

(٥٣) المصدر نفسه ، ٤٢١ .

(٥٤) المصدر نفسه ، ٤٢٣ .

المصادر والمراجع

- الأدب وفنونه ، محمد مندور ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٧٧ .
- إضاءة النص ، اعتدال عثمان ، دار الحداثة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٨ .
- الأعمال الجديدة الكاملة ، محمود درويش ، ج٣ ، ط١ ، ٢٠٠٩ .
- بنية النص السردي ، د. حميد لحمداني ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط٣ ، ٢٠٠٠ .
- تحولات التناص في شعر محمود درويش ، د. خالد عبد الرؤوف جبر ، جامعة البترا الخاصة، ٢٠٠٤ .
- الذاكرة المفقودة ، إلياس خوري ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٢ .
- سيرة الغائب سيرة الآتي ، شكري المبخوت ، دار الجنوب للنشر ، تونس ، ط١ ، ١٩٩٢ .
- طه حسين المقالي ، د. سعيد عدنان ، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية ، مج (٨) ، العدد (٤) ، ٢٠٠٩ .
- الغربة في شعر محمود درويش ، أحمد جواد مغنية ، دار الفارابي ، بيروت ، ط١، ٢٠٠٤ .
- فن المقالة ، د. محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦ .
- مجنون التراث ، شاكر النابلسي ، دراسة في شعر وفكر محمود درويش ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧ .
- محمود درويش حالة شعرية ، د. صلاح فضل ، دبي – الامارات ، دار الهدى ، ط١ ، ٢٠٠٩ .

- محمود درويش شاعر الأرض المحتلة ، رجاء النقاش ، دار الهلال ، د . ت ، د . ط .
- محمود درويش شاعر الصمود والمقاومة ، جمال بدران ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٩ .
- محمود درويش ناثراً ، د. تهاني شاكر ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٤ .
- المعجم المسرحي ، د. ماري إلياس ود. حنان قصاب ، بيروت ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط٢ ، ٢٠٠٦ .
- المفارقة في شعر محمود درويش ، خالد سليمان ، مجلة أبحاث اليرموك ، مج (١٣) ، العدد (٢) ، ١٩٩٥ .
- المقالة الأدبية في الأدب العربي الحديث بين الأزدهار والأفول ، د. سعيد عدنان ، مجلة القادسية للعلوم التربوية ، العدد (٣) ، مج (١) ، ٢٠٠١ .
- يوميات جرح فلسطيني ، معاذ السرطاوي ، دار المستقبل للنشر والتوزيع ، عمان، ١٩٨٩ .

Abstract

The present paper deals with Mahmoud Dirweesh's book "The Diaries of Normal Sadness" which contains a collection of essays ranging from social to autobiographical pieces. In this book, Dirweesh expresses his personal experience of suffering and sorrow under the Israeli occupation. The style of the essays oscillates between poetry and prose wedding the directness and precision of prose to the elegance and metaphore of poetry. The present paper is an attempt to discuss Dirweesh's achievement in this book of essays by analyzing four of the nine essays in the book to reveal their most idiosynchratic stylistic and formal aspects.